

الإعلام الإسلامي: سؤال الهوية المفهومية

د. أحمد عبدلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ورقة مقدمة للملتقى الدولي: الإعلام الديني

في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015

مقدمة

يطرح مفهوم الاعلام الإسلامي الكثير من الانشغالات المنهجية والمعرفية المتعلقة بنيته وتركيبته، وخصائصه ومميزاته وكذا اتجاهات ضبط ما يحيل اليه بالتحديد، ذلك أن هذا المفهوم يتصل بحقل معرفي محدد المعالم والبنى النظرية "علوم الاعلام"، وينفصل عنه من حيث المرجعية والخلفية الفكرية والأيدولوجية، ولعل هذه الثنائية كان لها الأثر البالغ في عمومية المفهوم واضطراب واضح في تحديده، بين من يحيله الى من ممارسة إعلامية عامة ذات مرجعية دينية، وبين من يقصره على حقل الدعوة الاشمل، هذا التباين ولد بدوره مضاعفات انعكست على تحديد وظيفته واتجاهها وشروطها، وفي المحصلة بقي الاعلام الإسلامي "قاصرا" من حيث المفهوم الذي لم يعد قادرا على استيعاب الظواهر الإعلامية المستجدة، ومحدودا ورتيبا ونمطيا في طبيعة المهام والوظائف الإعلامية المفترض اداؤها.

ويزال هذا الحقل الإعلامي المتميز يعاني الكثير من الإشكاليات منها ما يتعلق بطبيعة المفهوم وبنيته ومن هذه التساؤلات:

ما يتعلق بالمفهوم

1- هل يمكن اعتبار الاعلام الإسلامي حقلا معرفيا متصلا بحقل علوم الاعلام والاتصال؟ أم منفصل عنه ينسجم مع حقل الدعوة الإسلامية؟

2- ما هي قواعد ومرجعيات التصنيف التي تضبط ما ينطوي تحت هذا المسمى؟

3- كيف يمكن إعادة بناء هذا المفهوم ليستجيب للتطورات الحاصلة في مجال الاعلام والاتصال؟

1. بنية المفهوم وخلفياتها التاريخية

أسيرة المفهوم

تعد المشكلة المفاهيمية واحدة من أعقد المشكلات المعرفية في العالم العربي، ذلك أنها ترتبط بالكثير من الجدل حول ماهيتها ومحتواها ومدى قدرتها على الإحاطة بالظواهر المستجدة، ويزيد الامر صعوبة المفاهيم الرحالة أو الوافدة من بيئات ثقافية أخرى، وما تسببه من شروخ في الثقافة المستقبلية خصوصا إذا عجزت عن تكييفه وتهذيبه، ذلك أن المفاهيم لا تتضمن فقط البعد الابستمولوجي البحت، بل أيضا جملة المشاعر والمعطيات النفسية العميقة، والخلفيات الأيديولوجية سواء اكانت ظاهرة ام كامنة.

وإزاء هذه المعضلة وما يتصل بها تباينت مواقف الباحثين العرب المسلمين في كيفية التعامل معها على النحو الآتي:

الموقف الأول: قبول المفاهيم الغربية على حالتها دون تعديل أو تهذيب باعتبارها أدوات معرفية إنسانية.

الموقف الثاني (1): موقف الرفض الذي لا حيلة له في ابراز البديل في دائرة المفاهيم الإسلامية، وتشدد في قبول المفاهيم الوافدة واعتبرها غزوا واختراقا ثقافيا، ويرى أن لا سبيل الا من خلال المفاهيم التيستعارف عليها السلف.

(1)

الموقف الثالث: الاستجداء لمشابهة المفاهيم الإسلامية أو قياسها على المفاهيم الغربية. وهو موقف لا يرى مانعا في إعادة تصميم وبناء هذه المفاهيم وتطويرها لمقتضيات الثقافة المحلية وعناصرها وهو ما يعرف باتجاه اسلمة المعرفة، ومن ذاك القبيل ما يعرف ب: الاقتصاد الإسلامي، الاعلام الإسلامي، علم الاجتماع الإسلامي....⁽¹⁾، وهو وسم للنموذج المعرفي او النظام المعرفي او النسق المعرفي لأنه هو الأساس الذي تبنى عليه المنهجية فتساب مسلماته وفرضياته ومعاييرته ورؤيته للعالم: انسان وكون وحياة وإله⁽²⁾

شهدت نهاية الستينات وبداية السبعينات محاولات متقطعة عن "الاعلام الإسلامي" في شكل كتب ومقالات محدودة وذات طابع اجتهادي شخصي، مثل كتابات محي الدين عبد الحليم، محمد سيد محمد، إبراهيم امام، عبدالقادر طاش...، ولقيت هذه الأصوات العلمية صدى في بعض الجامعات الاسلامية التي خصصت اقساما للإعلام الإسلامي أو مساقات، كما بقي البحث فيه محتشما مما أثر على تراكمية المعرفة النظرية والمنهجية والميدانية.

وبالانتقال إلى ميدان الممارسة لم تخلو الساحة من مظاهر الاعلام الإسلامي سواء من خلال صحف وقنوات متخصصة تحت هذا المسمى أو صفحات وبرامج، وهو ما توسع مع انفجار البث التلفزيوني المباشر الذي سمح

(1) ينفرد المعهد العالمي للفكر الإسلامي بقيادة هذه الجهود والتأسيس لها من خلال مراكز البحث، والملتقيات والنشر العلمي الكثيف. وتعد اعمال عبد الحميد ابو سليمان، والمرحوم احمد فؤاد باشا، عماد الدين خليل

من الكتابات الرائدة في هذا المجال، ويسوق المعهد حاليا نظرية تكامل المعرفة
(2) محمد نصر عارف واخرون: قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، ط1، منشورات المعهد

بتوالد عشرات القنوات الإسلامية العامة والموضوعاتية، فيما فتحت تكنولوجيا الاتصال الحالية والشبكات الاجتماعية المجال واسعا أمام ممارسات واسعة له.

تأثر مفهوم الاعلام الإسلامي في ظهوره بعدة عوامل منها:

1- الظروف التاريخية التي مرت بها الامة: وأهمها حالة التخلف والجمود والاستعمار، وسيادة البضائع والصناعات الثقافة الغربية ، وفي المجال الإعلامي سادت المنتجات والمضامين التي يتنافى الكثير منها مع القيم المحلية وعملت في احايين كثيرة على محوها والحلول محلها ، أدت هذه الظروف مجتمعة في استثارة المقاومة الإعلامية، وهو ما عرف بالصحافة الإصلاحية -أول الامر- ثم تطورت لاحقا إلى فكرة الاعلام الإسلامي الذي يعتمد أساسا على المضمون الديني الإسلامي في التواصل مع الجمهور، لتقديم المعرفة الدينية بوصفها معرفة انعتاقية، التي تقترح الحلول للمشاكل والتحديات الانية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي⁽¹⁾.

2- تأثير حراك الصحوة الإسلامية:

وهو الحراك الذي ينادي بضرورة العودة الى الدين كمصدر لتنظيم الحياة الاجتماعية في جميع مناحيها، ومن ذلك ضرورة وجود ممارسات إعلامية مستمدة من الدين الإسلامي ومتسقة معه، في مواجهه الاعلام الاخر العلماني، ويلحظ تأثير هذا العامل في بعض الشحن الأيديولوجي والعاطفي تجاه المفهوم، وكذلك في النظر اليه وتصنيفه من طرف الباحثين.

(1) عزى عبد الرحمن، السعيد بومعيزة، الاعلام والمجتمع، مرجع سابق، ص 259

2. تأثير تيار اسلمة المعرفة

مهو تيار فكري معرفي اخذ على عاتقه توجيه جهود الباحثين المسلمين نحو اصيل المعرفة الإنسانية أيا ان مصدرها ، وإعادة تطويعها لمقتضيات القيم الإسلامية ، كما يهدف -حسب طه جابر العلواني- الى :الالتقاء حول المضمون الواحد الذي يمكن تلخيصه بتقديم المعرفة انطلاقا من نظرية المعرفة الإسلامية لتحقيق اهداف الإسلام في المعرفة والمادة والربط بين المعرفة والقيم وتقديم نظرية إسلامية متكاملة في قضايا المعرفة شاملة لمصادر وأهدافها وتصنيفها وتاريخها وعلاقتها بالقيم وانعكاساتها على العقلية والنفسية الانسانيتين لإعادة بناء وتشكيل الشخصية الإسلامية⁽¹⁾

3-الخلفية المعرفية والأيدولوجية للمشتغلين به: ينقسم المشتغلون بهذا الحقل الى قسمين اساسين من حيث التكوين:

- باحثون بخلفية معرفية إنسانية واجتماعية: تكونوا في الجامعات الغربية وتعرفوا على مختلف النظريات العلمية في هذا المجال، وقد حاولوا تأسيس معارف علمية متسقة مع حقائق المجتمع الإسلامي، غير انهم يفتقدون للمعارف الدينية مثل مقاصد الشريعة والفقہ والتاريخ الإسلامي وغيرها من المعارف اللازمة، وقد انعكس هذا الخلل على تصور الاعلام الإسلامي الذي غلبي عليه طابع الاعلام العام المصبوغ بصبغة إسلامية، وتلخصت جهودهم وتصورات في القواعد الأخلاقية الناظمة له.
- باحثون بخلفية دينية شرعية: وهم الذين تكونوا في المعاهد والكليات الدينية، فغلب تكوينهم الشرعي على تكوينهم الاجتماعي والإنساني،

(1) طه جابر العلواني: مقدمة في اسلمة المعرفة، ط1، لبنان، دار الهدى للطباعة والنشر، 2001، ص7

وانعكس ذلك على تصورهم للإعلام الإسلامي، الذي يقترب كثيرا من مفهوم الدعوة وفي أحسن الأحوال "اعلام ديني" أي شكل من اشكال الاعلام المتخصص، كما غلبوا المنطق الفقهي على المنطق العملي البحثي، وهو ما احاله في كثير من الأحيان الى نسخ من خطب المساجد.

ثانيا: اتجاهات تعريف الاعلام الإسلامي

- الاتجاه الأول: الاعلام الإسلامي هو الدعوة الإسلامية

يرى أنصار هذا الاتجاه أن الاعلام الإسلامي هو الدعوة الإسلامية في مضمونه، أي انه لا يخرج عن توصيل المعرفة الدينية بجميع اشكالها والاقناع بها الى الجماهير المسلمة وغير المسلمة ومن هذه التعاريف:

محمد منير حجاب فيرى انه: جهد فني وعلمي مدروس ومخطط ومستمر وصادق من قبل القائم بالاتصال هيئة كانت ام جماعة ام فردا لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها ويستهدف الاتصال بالجمهور العام وهيئاته النوعية، وافراده، بكافة إمكانيات وسائل الاعلام والاقناع،⁽¹⁾.

عبد الله قاسم الوشلي: الاعلام الإسلامي: هو الذي يعرف بالله الواحد، ودينه الحق، ويرسم صورة صادقة لرسالة محمد ﷺ لا زيادة فيها ولا نقصان⁽²⁾

ويذهب عبداللطيف حمزة بعيدا في تحديده مداه الزمني فهو يرى انه: هو الجهود التي بذلها

(1) محمد منير حجاب: الاعلام الإسلامي المبادئ. النظرية. التطبيق، ط1، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2002، ص25

(2) عبد الله قاسم الوشلي: الاعلام الإسلامي في مواجهة الاعلام المعاصر، ط2، صنعاء: دار عمار للنشر والتوزيع، 1994، ص11

الخلفاء الراشدون⁽¹⁾

اما عمارة نجيب فيرى انه: بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة بقصد جلب العقول الى الحق واشراكها في نوال خير الإسلام وهديه وابعادهم عن الباطل او إقامة الحجة عليهم.⁽²⁾

ويرى عزى عبدالرحمن ان مثار الجدل حول العلاقة بين الاعلام والدعوة وعما اذا كان المفهوم مترادفين او متغايرين يرى البعض ان الاعلام هو الجانب التبشيري بالعقيدة أي ان الاعلام وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية ويرى اخرون ان التركيز في الاعلام يكون على المعلومات بينما يتم التأكيد في الدعوة على الرسالة. ويذهب البعض الى ان الكلمتين متماثلتين فالإعلام هو الدعوة والدعوة هي الاعلام....وازاء هذا الجدل بين الباحثين يعتقد عزى ان: الاعلام هو وسيلة نشر الدعوة الإسلامية في وضعية العالم الإسلامي الحالية ، وهو الدعوة والوسيلة في نفس الوقت في مجتمع إسلامي معاصر ويمكن القول نفس الشيء عن الدعوة فهي جزء من الاعلام في وضعية العالم الإسلامي الحالي ولكنها هي الاعلام ذاته في مجتمع إسلامي معاصر⁽³⁾.

2- الاعلام الإسلامي إعلام ديني متخصص

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الاعلام الإسلامي هو اعلام متخصص في القضايا الدينية، نظرا لغياب الإطار العام الذي ينظم حركيته بتناغم مع باقي المجالات.

ولذا يرى محى الدين عبد الحلیم ان الأصل في الإعلام الإسلامي أنه إعلام عام غير متخصص لمجتمع مسلم أو دولة إسلامية أو حكومة إسلامية، لكن الواقع لمجتمعاتنا الإسلامية يحتم علينا القول بأنّ الاعلام الإسلامي في ظروفنا المعاصرة هو صورة من

(1) عبد اللطيف حمزة: الاعلام في صدر الإسلام، ط2،

(2) عمارة نجيب، المدخل لدراسة الاعلام الإسلامي، ط2، القاهرة: الفاروق الحديثة، 1983، ص17

(3) عزى عبد الرحمن، السعيد بومعيزة، الاعلام والمجتمع مرجع سابق، ص251

صور الإعلام المتخصص، وهو الإعلام الديني⁽¹⁾.

ولدا يمكن تعريفه بأنه تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة او عامة بوساطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة متعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعنى بالحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته⁽²⁾.

ويذهب عزي عبد الرحمن نفس المذهب حيث يرى انه: يمكن القول ان الاعلام الإسلامي يوجد واقعياً عندما يكون هناك مجتمع إسلامي، وفي انعدام شرط وجود المجتمع الإسلامي يبقى الاعلام الإسلامي مشروعاً يسعى الى إقامة المجتمع الإسلامي والذي يؤدي بدوره الى وجود الاعلام الإسلامي⁽³⁾

اعلام عام بمرجعية إسلامية

يعتقد أصحاب هذا الاتجاه ان غياب الظروف العامة للإعلام الإسلامي لا يمنع من وجوده وإمكانية تحقيقه، خصوصاً في ظل الانفتاح الإعلامي والتطور التكنولوجي، اذ يمكن تأسيس قنوات إعلامية إسلامية عامة أو موضوعاتية متخصصة دون مشكلات تذكر، وعليه فقد عرفه بعضهم:

محمد محمد يونس: إعلام عام في محتواه ووسائله يلتزم في كل ما ينشره أو يذيعه أو يعرضه على الناس بالتصوّر الإسلامي للإنسان والكون والحياة المستمدة أساساً من القرآن

(1) محي الدين عبد الحلیم: المسؤولية الإعلامية في الإسلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1، 1983م، ص 36.

(2) محي الدين عبد الحلیم: الإعلام الإسلامي: الأصول والقواعد والأهداف، مؤسسة اقرأ الخيرية، 1992م، ص 54.

(3) عزي عبد الرحمن، السعيد بومعيزة، الاعلام والمجتمع مرجع سابق، ص 251

الكريم وصحيح السنّة النبوية وما ارتضته الأمة من مصادر التشريع في إطارها⁽¹⁾.

عبد الوهاب كحيل: استخدام منهج إسلامي بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم متفقهون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة والقيم والمبادئ والمُثل للمسلمين ولغير المسلمين في كل زمان ومكان في إطار الموضوعية التامة بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد لإحداث التأثير المطلوب⁽²⁾.

إبراهيم امام: تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والمعلومات والحقائق الثابتة والسليمة والتي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع او مشكلة من المشكلات بحيث يعتبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولاتهم⁽³⁾.

استنتاجات عامة حول المفهوم

أولاً: نسبة المفهوم: ينتمي هذا المفهوم المركب الى حقل معرفي خاص يستمد منه عناصره وخصائصه يشمل مصدرين:

أ- الاعلام: بما يتضمنه من معطيات نظرية وفلسفية وإيديولوجية، يهدف الى نقل الاخبار والمعلومات حول الوقائع والاحداث المختلفة.

(1) محمد محمد يونس: وظائف الإعلام الإسلامي، ورقة مقدمة إلى ندوة: "الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي"، القاهرة، نوفمبر 1998م، ص 28-29.

(2) عبد الوهاب كحيل: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب، بيروت، ط/1، 1985م، ص 29.

(3) إبراهيم امام: الاعلام الإسلامي، ط1، القاهرة، الانجلوساكسونية، 1980، ص 27

ب- الإسلام: بما يتضمنه من معرفة شرعية، مثل علم المقاصد، الفقه، قواعد الرواية وطرق التثبت...، وبما يفرضه من قواعد أخلاقية صارمة تجاه مثل هذه الممارسات، ولا شك في ان لهذه الثنائية تأثير بالغ على ماهيته واليات بنائه، ومعايير تصنيفه إما اعلام عام ذو طبيعة إسلامية او اعلام ديني متخصص، او هو الدعوة الإسلامية، وقد القت هذه الإشكالية بظلالها على بحوث الاعلام الإسلامي خصوصا في تصنيف المضامين بهدف تحليلها.

ومع ذلك يتحفظ البعض على وصف الإسلامي، مثل ما يذهب اليه محمد الحضيف بقوله: "لا توجد قناة إسلامية، وإنما هناك قنوات محافظة، ونقية" فمصطلح "الإسلامية" بحاجة إلى توقف وتحريم؛ لأنه يثير كثيراً من التساؤلات، ولا يعبر عن مفهوم محدد ومميز يقبل به أصحابه والآخرين؛ لأن كل مسلم يمكن أن يعتبر نفسه إسلامياً، وكل منتج للمسلمين يمكن أن يُعدّ "إسلامياً". فوصف "الفضائيات الإسلامية" هو مصطلح مجازي بالطبع وليس دقيقاً، فما الإسلامي، وما غير الإسلامي في الفضائيات؟ وهل يعني استثناء محطة أو برنامج من الإسلام أو الإسلامية أنه مسيحي مثلاً أو غير إسلامي؟ وهل الإسلامي يعني ذلك البرنامج أو تلك المحطة التي تتخذ مباشرة من الموضوعات والقضايا والنصوص الإسلامية⁽¹⁾ مجالاً لها؟ وهل تكون نشرة الأخبار عن الأحداث التي تدور في العالم برنامجاً إسلامياً أم غير إسلامي؟ بينما يرى آخرون انه من الاجدر الحديث عن "اعلام قيمي" مدام مدار الحديث

(1) إبراهيم غرايبية: فضائيات إسلامية ومصطلح "الإسلامية" بعامة

ثانيا- الشروع والذيعوع في الحقل المعرفي المجاورة: " علوم الاعلام والاتصال"،
اذ يبقى هذا المجال محصورا في دائرة المشتغلين بالدعوة من الناحية الحركية،
او محل اهتمام بعض الأقسام المتخصصة في الجامعات الإسلامية، ويندر ان
يكذ ينعدم ذكره في كليات واقسام الاعلام والاتصال

- ضرورات إعادة هندسة المفهوم: تبدو عملية إعادة بناء المفهوم وهندسته
ضرورية من عدة أوجه:

- تخليصه من الشوائب المذهبية والأيدولوجية والرؤى الضيقة، واعتباره معرفة
إنسانية مفتحة على البحث العلمي وخاضعة لمقتضيات البحث العلمي، وهو
ما من شأنه تخليصه من الهالة التقديسية التي يحيطها البعض به.

-مراعاة التطور المعرفي الحاصل في المعرفة الإعلامية والاتصالية، وتطور
نماذج الاعلام، خصوصا مع الانفجار التكنولوجي الحالي. والتي تثير
ممارسات إعلامية جديدة من قبيل، الاعلام البديل واعلام المواطن والتي
يصعب تصنيفها حيال الاعلام الإسلامي.

خاتمة

يمكن القول ان مفهوم الاعلام الإسلامي من المفاهيم "التنازعية" وهي المفاهيم
التي يمكن تأويلها في سياقات مختلفة، وتصدق فيه قاعدة " لا مشاحاة في
الاصطلاح"، ويبقى مصدر التشويش الدلالي فيه متات من محاولات الترويض
والتأويل المبني على اختيارات ومواقف أيديولوجية اما قبولاً أو رفضاً، او من
طبيعة الزاوية التخصصية والتكوينية للمشتغلين والمهتمين به.

